ربك اي انه من جهة الله تعالى فلا تتعجبي منه • قال ابن الخطيب وقال هنا الحكيم العليم وفي سورة هود انه حميد مجيد لان الحكاية في هود ابسط فذكروا ما يدفع استبعاده بقولهم اتعجبين من امر الله ثم ارشدوها الى القيام بشكر نعم الله بقولهم حميد فان الحميد هو الذي يفعل الافعال الحسنة والمجيد اشارة الى انه الذي لا يحمد لفعله وانما يحمد لذاته وههنا لما لم يقولوا اتعجبين اشاروا الى ما يدفع تعجبها بقولهم حكيم عليم • فالحميد يتعلق بالفعل والمجيد يتعلق بالذات وكذلك الحكيم هو الذي يفعل قاصدا السداد ان من يتفق في يومه على حية فانه لا يعد حكيما واما اذا قصد قتلها بحيث يسلم من نهشها يقال له حكيم والعليم صفة راجعة الى الذات فقدم وصف الفعل وانتهى درجة الى وصف الذات اشارة الى انه يستحق الحمد وان لم يفعل فعلا • قوله قال فما خطبكم ايها المرسلون هذا ايضا من ادب المضيف اذا بادر الضيف للخروج قال له ما هذه العجلة وما شانك لان في سكوته ما يوهم باستثقاله ثم انهم اتوا بما هو من ادب الصديق الذي لا يسر عن الصديق شيا وكان ذلك باذن الله لهم في اطلاع ابراهيم عليه الصلوة والسلام على اهلاكهم وجبر قلبه بتقديم البشارة بابي الانبيا اسحاق عليهما الصلوة والسلام فان قيل فما الذي اقتضى ذكره بالفا ولم لا قال ما هذا الاستعجال وما خطبكم المعجل لكم • فالجواب انه لما اوجس منهم خيفة لو خرجوا من غير بشارة وايناس ما كان يقول شيا فلما انسوه قال ما خطبكم اي بعد هذا الانس العظيم ما هذا الايحاش الاليم فصل والخطب يستعمل في الامر العظيم ولذلك قال فما خطبكم اي لعظمتكم لا ترسلون الا في امر عظيم ولو قال بلفظ مركب بان يقول ما شغلكم الخطير وامركم العظيم لزم التطويل فالخطب افاد التعظيم مع الايجاز وعرف انهم مرسلون بقولهم انا ارسلنا او بقولهم لامراته كذلك قال ربك لحكايتهم قول الله تعالى وقالوا في سورة هود انا ارسلنا الى قوم لوط وقال هنا الى قوم مجرمين لان الحكاية عن معنى قولهم • ويحتمل انهم قالوا الامرين ولما حكى لفظهم في السلام اتى في الموضعين بصفة واحدة والمجرم قال ابن عباس هو المشرك لان الشرك اشرف الذنوب واعظمها • وقال ابن الخطيب المجرم هو الاتي بالذنب العظيم لان الجرم فيه دلالة على العظم ومنه جرم الشي لعظمه ومقداره • قوله لنرسل عليهم حجارة من طين فيه دليل على رجم اللايط والفايدة في ارسال جماعة من الملايكة لهذا الامر وان كان يكفي فيه الواحد منهم ان الملك العظيم قد يهلك بالامر الحقير كما اهلك النمرود بالبعوض وكما اهلك بالنمل والجراد بل بالريح التي بها الحياة اظهارا للقدرة وقد يكثر الاسباب كما في يوم بدر امر خمسة الاف من الملايكة باهلاك اهل بدر مع قلتهم اظهارا لعظيم قدرته • وقوله من طين اي ليست من البرد والفاعل لذلك هو الله تعالى لا كما تقول الحكما فانهم يقولون ان البرد يسمى حجارة فقوله من طين يدفع ذلك التوهم • قال ابن الخطيب ان بعض من يدعي العقل يقول لا ينزل من السما الا حجارة من طين مدورات على هيئة البرد وهيئة البنادق التي يتخذها الرماة قالوا وسبب ذلك ان الاعصار تصعد الغبار من الفلوات العظيمة التي لا عمارة فيها والرياح تسوقها الى بعض البلاد ويتفق وصول ذلك الى الهوا الندي فيصير طينا رطبا والرطب اذا نزل ويتفق استدارته بدليل انك اذا رميت الما الى فوق ثم نظرت اليه رايته ينزل كرات مدورات كاللالي الكبار ثم في النزول اذا اتفق ان تصيبه النيران التي في الجو جعلته حجارة كالاجر المطبوخ فينزل فيصيب من قدر الله هلاكه وقد ينزل كثيرا في المواضع التي لا عمارة فيها فلا يرى ولا يدرى به

فلهذا

فلهذا قال من طين لا مما لا يكون من طين كالحجر الذي في الصواعق لا يكون كثيرا بحيث تمطر وهذا تعسف لان ذلك الاعصار كما وقع فان وقع لحادث اخر لزم التسلسل ولابد من الانتها الى محدث ليس بحادث فذلك المحدث لابد وان يكون فاعلا مختارا والمختار له ان يفعل ذلك وله ان يخلق الحجارة من طين على وجه اخر من غير نار ولا غبار لكن العقل لا طريق له الى الجزم بطريق احداثه وما لا يصل العقل اليه فلا يوخذ الا بالنقل والنص ومن المعلوم ان نزول حجارة الطين من السما اغرب واعجب من غيرها • قوله مسومة فيه ثلاثة اوجه احدها انه منصوب على النعت لحجارة • والثاني انه حال من الضمير المستكن في الجار قبله الثالث انه حال من حجارة وجنس ذلك كون النكرة وصفت بالجار بعدها ومعنى مسومة قيل على كل حجر منها اسم صاحبه • وقيل خلقت واعدت لتعذيبهم • وقيل مرسلة للمجرمين لان الارسال يقال في التسويم يقال ارسلها الترعى كما قيل في الخيل المسومة اي مستغن عنها • قوله عند ربك ظرف لمسومة اي معلمة عنده والمسرف المتمادي ولو في الصغاير فهم مجرمون مسرفون • وهنا لطيفة وهي ان الحجارة سومت للمسرف المصر الذي لا يترك الذنب في المستقبل وذلك انما يعلمه الله تعالى فلذلك قال عند ربك للمسرفين ولما كان الاجرام ظاهرا قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين واللام في المسرفين لتعريف العهد اي لهولا المسرفين اذ ليس لكل مسرف حجارة مسومة واعلمهم بانهم اتوا بما لم يسبقهم به احد من العالمين • قوله فاخرجنا من كان فيها من المومنين هذه الاية تدل على بيان القدرة والاختيار لانه تعالى لما ميز المجرم عن المحسن دل على الاختيار • وايضا فيها بيان ان ببركة المحسن ينجو المسي فان القرية ما دام فيها المومنون لم تهلك • والضمير في فيها عايد الى القرية وهي معلومة وان لم تكن مذكورة • والمعنى فاخرجنا من كان في قرى قوم لوط من المومنين وذلك قوله فاسر باهلك بقطع من الليل • وقوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مومن الا وهو مسلم وفيه اشارة الى ان الكفر اذا غلب والفسق اذا فشا لا ينفع معه عبادة المومنين بخلاف ما لو كان اكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرقون ويزنون • ومثاله ان العالم كالبدن ووجود الصالحين كالاغذية الباردة والحارة والسموم الواردة عليه الضارة • ثم ان البدن ان خلا عن النافع وفيه الضار هلك وان خلا عن الضار وفيه النافع طاب ونما وان وجدا فيه فالحكم للغالب • واعلم ان اطلاق العام على الخاص لا مانع منه لان المسلم اعم من المومن فاذا سمي المومن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما فكانه تعالى قال اخرجنا المومنين فما وجدنا الاعم منهم الا بيتا من المسلمين ويلزم من هنا انه لا يكون هناك غيرهم من المومنين • قوله وتركنا فيها اية يجوز ان يعود الضمير على القرية اي تركنا في القرية علامة اي عبرة كالحجارة او الما المنتن • ويجوز ان يعود الضمير على الاهلاك المفهوم من السياق • وقوله للذين يخافون اي ما ينتفع بها الا الخائف كقوله تعالى في سورة العنكبوت لقوم يعقلون • ومعنى الاية ان الاية مدلها على ان الله اهلكهم فيخافون مثل عذابهم • قوله تعالى وفي موسى فيه اوجه اظهرها انه عطف على قوله فيها باعادة الجار لان المعطوف عليه ضمير مجرور فيتعلق بتركنا من حيث المعنى ويكون التقدير وتركنا في قصة موسى اية وهذا واضح • والثاني انه معطوف على قوله وفي الارض ايات اي وفي الارض وفي موسى ايات للموقنين قاله الزمخشري وابن عطية • قال ابو حيان وهذا بعيد جدا ينزه القران عن مثله • قال شهاب الدين وجه استبعاده له بعد

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)